دراسات في علم اجتماع الدين

(Studies in the Sociology of Religion)

احسان محمد الحســـن
مدرس علم الاجتماع في
جامعتي بغداد والمستنصرية

الدين هو نظام عقلي منطقي موزون يتكون من مجموعة المعتقدات والافكار والقيم والطقوس السلوكية المتعلقة بكائنات وقوى واماكن مقدسة تفوق بطبيعتها واهميتها الاشياء التي يستطيع الانسان خلقها واستعمالهـــا والسيطرة عليها • ولهذا النظام آثاره السيكو اجتماعية العميقة في نفوس الاشخاص الذين يعتقدون ويؤمنون به اذ انه يحدد سلوكهم ويرسم طراز حياتهم ويضع اديولوجيتهم التي تميز حياتهم الخاصة والعامة •

تختلف الاديان اختلافا واضحا بمفاهيمها واساليبها وممارساتهـــا وتنظيماتها ، غير ان الشعور الديني الذي ينتاب المؤمن هو شعور واحـــد مهما كان الدين الذى يعتقد به وهذا الشعور هو شعور شخصي يصعب وصفه وتحليله من الناحية الموضوعية • لهذا لا يمكن تعريف الدين تعريفا واضحا وشاملا ومضبوطا يعكس للقارىء معناه الكامل • الا ان الدين يتعلق

---

(١) الكائنات الميتفزيقة هي الكائنات المتفوقة على الانسان بعقلها وقوتها وتفكيرها وهي الكائنات التي لايستطيع الانسان مشـــاهدتها او وصفها او حتى تفسيرها تفسيرا واضحا مضبوطا وصفة الغموض والسرية تكون متغلبة عليها •

بكائنات ماوراء الطبيعة اى الكائنات الميتفزقية [1] كالله سبحانه وتعالى والملائكة ويتعلق بالاماكن الميتفزقية كالجنة والنار كما يهتم بالقوى الميتفزقية كالروح المقدسة والروح الخيرة والروح الشريرة ... الخ (٢) وتركز الاديان البدائية على القوى السحرية التي تعتقد بها بعض الشعوب والجماعات البدائية مثل شعوب جزر بولينيسيا في المحيط الهادي وبعض شعوب غرب افريقيا ، هذه القوى التي يسيطر عليها ويسخرها بعض الاشخاص الموهوبين كالسحرة مثلا أو الشامن ((Shaman)) [3] .

لابد من الاشارة هنا بان علم الدين الحديث تسنده فلسفة الدين استطاع اثبات وجود الله سبحانه وتعالى ووجود الكائنات الميتفزقية الاخرى وذلك بالرجوع الى القرآن الكريم [4] أو الكتب السماوية الاخرى والتطلع على الادلة والبراهين الكثيرة الموجودة فيها والتي تشير الى وجود الخالق العظيم الذي خلق الارض والسماوات وما فيها من اشياء منظورة وغير منظورة ثم سيطر عليها وسيرها في نظام معين لا يستطيع العقل البشري معرفة اسراره وخفاياه . قال تعالى في سورة البقرة « ان في خلق السماوات

---

(2) K. Davis, Human Society. See the Ch. on Religious Institution.

(٣) الشامن هو الساحر الاول الذى يسيطر على السلطة الدينية في المجتمع البدائي وغالبا ما يتمتع بشخصية غير متزنة اذ يتغلب عليها الانفعال السيكولوجي والاثارة الحادة . والمنزلة الاجتماعية التي يتمتع بها الشامن في المجتمعات البدائية هي منزلة عالية لهذا له حق الزواج بعدد من النساء وفي بعض الاحيان يسيطر على السلطة السياسية والعسكرية في المجتمع البدائي .

(٤) كيف السبيل الى الله (الايمان بالله) ـ تاليف خير الله طلفاح ص ١٠ .

والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لأيات لقوم يعقلون(٥) • ان عملية خلق السماوات والارض ومادة وهيئة هذه الاشياء العجيبة الغريبة وكذلك ما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والثوابت والسيارات وحركاتها المختلفة كماً وكيفاً وجهة • والارض بما تشتمل عليها تراكيبها من بدايع الخلق وعجائب الصنع وتوسطها بين الصلابة والرخاة لتكون مأوي انواع الوحوش ومسكن اصناف الناس ومزارعهم ومراعيهم وما عليها من المياه والجبال والمعادن ونحوها من منافع الخلق التي تعجز عن ادركها العقول المفكرة • قال العلامة سنيكا « لا يستطيع المرء ان يرفع بصره نحو السماوات العلى الا ويغضي اجلا لا ووقارا ، اذ يرى ملايين من النجوم الزاهرة الساطعة ويراقب سيرها في افلاكها وتنقلها في ابراجها • وكل نجم وكوكب ، وكل سديم وسيار انما هو دنيا قائمة بذاتها اكبر من الارض وما فيها وما عليها وماحولها • ولاختلاف الليل والنهار ، اى اذا ذهب احدهما جاء الاخر على وجه المعاقبة ، فوائد ومنافع للخلق • فبحركة الارض والشمس نرى ما كان صبحا عند قوم هو نفسه ظهرا وعصرا ومغربا وعشاء ونصف ليل عند اقوام اخرين ، فالشمس في كل لحظة في غروب وشروق وزوال وضحي ولذلك فاليوم باكمله موجود على الارض ونحن نمر عليه مرورا منتظما • وتنقل الشمس في البروج يسبب اختلافا في طول اليوم وطول الليل باختلاف الاقطار ، ثم ترجع فتعوض هذا الاختلاف في الفصل القادم • والله سبحانه وتعالى هو الذي ينزل الماء من السماء ليحي به ميت البلاد ويسقي كل دابة تدب على الارض

---

(٥) القرآن الكريم – سورة البقرة اية ١٦٤ •

من حيوان وانسان ومن الايات قوله تعالى في سورة الفرقان اية ٤٧ « هو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلناه من السماء ماء طهورا لنحي به بلدة ميتا » وقوله تعالى (وهو الذى انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) • ان انزال المطر من السماء يعمر الارض بعد خرابهـــا لان الارض اذا وقع عليها المطر انبتت واذا لم يصبها مطرا لم تنبت ولـــم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالميت وقيل اراد به احياء اهل الارض باحياء الاقوات وغيرها مما تحيا به نفوسهم • ان جميع هذه الادلة والاثباتات المنطقية التي يستطيع الانسان العاقل مشاهدتها ولمسها والاحساس بها تدل دلالة واضحة على وجود الله وفضله في خلق الكائنات الحيـــة والميتة • وباستطاعة المؤمن ضرب امثلة اخرى توضح الدلالات والاثباتات التـــي تشير الى وجود الله ومنها الكثير في القرآن الكريم • ويمكننا اعتبار المبادىء والتعاليم الدينية مبادىء وتعاليم عملية موضوعية من حيث انها تكون جوانب طبيعية أو معنوية لا يمكن فصلها عن العالم الذي نعيش فيه [٦] • فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو رجل عاش في هذا العالم ولكنه تميز عن بقية الرجال الذين عاصروه بعظمة شخصيته وعبقريته وحدة ذكائـــه وقابليته على خلق المعجزات السماوية التي منحها الله سبحانه وتعالى له •

النظرية الوظيفية للديـــن (The Functional Theory of Religion):

لغرض فهم المعتقدات والطقوس الدينية فهماً علميا ولغرض تفسير الدين تفسيرا منطقيا معقولا لابد من دراسة النظرية الاجتماعية الحديثة التي اهتمت بتفسير اهمية ووظائف الدين للمجتمع • وهذه النظريـــة هي النظرية البنائية الوظيفية للتحليل الاجتماعي التي اسسها لاول مرة

---

(6) Current Sociology V (1) (1956) - Sociology of Religion.

عدد من الفلاسفة الاجتماعيين وعلماء الاجتماع البارزين مثل الفيلسوف الاجتماعي الاسكتلندي وليم روبرتسن سث واميل دوركهايم رئيس المدرسة الاجتماعية الفرنسية وراد كلف براون ومالنوفسكي ومعاصريهم من اعضاء المدرسة الانثرويولوجية الانكليزية وماكس فيبر وتالكت بارسن ومجموعة اخرى من علماء الاجتماع الالمان [7] ان اراء جميع هؤلاء العلماء تتفق على نقطة واحدة وهي ان المجتمع هو كائن حي تتحدد طبيعة صفاته ومميزاته بنوعية الاجزاء التي يتكون منها • وبالرغم من انه وليد اتحاد وتكامل الاجزاء التي يتكون منها فانه يختلف اختلافا واضحا عن الاجزاء والعناصر التي تحدد طبيعته ووظائفه • ولا نستطيع فهم اجزاء المجتمع دون ارجاعها الى الكل الذي يعطي الطابع النهائي للمجتمع • يقول علماء اجتماع المدرسة الوظيفية بان المجتمع يستند على قواعد اساسية علمية تساعده على الاستمرار والبقاء ومن هذه القواعد الاحكام الدينية التي يتمسك بها الأفراد لتمكنهم من مواجهة ظروفهم ومشاكلهم الحياتية • الا ان علماء المدرسة الوظيفية لم يفسروا المنظمات الاجتماعية تفسيرا تاريخيا بل فسروها تبعا للدور الذي تلعبه في سد واشباع الحاجات البايولوجية والاجتماعية للافراد فهم يعتقدون بان الشخصية الانسانية تحتاج الى ظروف وعوامل معينة لكي توجد وتنمو وتتطور وان الشخص حسب اعتقادهم هو وليد الظروف العضوية والاجتماعية التي يعيش فيها • وحاجات الفرد تختلف عن حاجات المجتمع ، وبالرغم من ان حاجات الفرد متعلقة ومكملة لحاجات المجتمع ، فان هناك في حالات معينة تناقض وصراع بين ما يحتاجه الفرد وما يحتاجه المجتمع • ولهذا الصراع اضراره الوخيمة على الفرد والمجتمع لما يتركه من آثار سلبية عن عمليات التكيف الاجتماعي التي

(7) S. Radcliffe - "Brown and Society" in Structure and Functions in Primative Societies.

يعتمدها الفرد منذ بداية نشأته الاولى •

من الحاجات والمتطلبات الاجتماعية الجوهرية ضـــرورة وجود التماسك الاديولوجي والعاطفي الذي يشد ويربط افراد المجتمع واحدهم بالآخر ومثل هذا التماسك يحتاج الى اديولوجية حياتيـــة تنظم سلوك الافراد وتحدد علاقاتهم وترسم اهدافهم وقيمهم ومقاييسهم ومبعث هذه الاديولوجيه هو الدين[8] • اذا الدين هو الذي يضع اديولوجيه حياتيـة شاملة يسير عليها الافراد وهذه الاديولوجية هي اساس وحدة المجتمع هذه الوحدة التي تساعد الافراد والمجتمع على تحقيق اهدافه الجوهرية • لذا من الوظائف الجوهرية للدين زرع العواطف والميول والاتجاهات الفكرية المشتركة عند الأفراد والتي تعمل على تحقيق التماسك والوحدة بينهم •

ان العلاقات الروحانية التي تربط الفرد بالله سبحانه وتعالى يمكن ان تشبه بالعلاقات التي تربط الافراد واحدهم بالاخر • فكما يكون الانسان علاقة اجتماعية مع اخيه الانسان فان باستطاعته تكوين علاقة روحانيـــة مقدسة مع خالقه • وعبادة الله هي مسألة اجتماعية يشرف عليها ويرعاها المجتمع المحلي ، وتنجز لاغراض الهية واجتماعية نافعة • فالدين هـــو اساس الروابط الاجتماعية القوية التي تربط اعضاء المجتمع ، وهـــو الاديولوجية الفكرية التي تجلب لهم الوحدة العقائدية والمصيرية وتدفعهم لاحترام واحدهم الاخر وهذا هو سر وحدتهم وسر تحقيق اهدافهم العليا في الحياة • ومن جهة ثانية نشاهد بان التعبير عن المعتقدات المشتركـــة بطقوس جماعية يساعد الافراد على الاخلاص والتفاني في سبيل اهداف المجتمع أو الجماعة[9] • وان اهداف المجتمع أو الجماعة التي غالبا مـــا

---

(8) J. M. Yinger. Religion, Society, and the Individual p. 31.

(9) E. Durkheim, elemestary Forms of Religion Life, P. 21.

يضعها الدين تقوي عزيمة الافراد وتدفعهم الى الالتزام والتقيد بالمقاييس الجماعية التي تتناقض مع المصالح الشخصية والانانية •

وللدين فائدة اخرى تنعكس في حقيقة اعطاء المؤمن القوة والعزيمة والمجال على التغلب وقهر الازمات الانفعالية والنفسية التي تلازمه وقد تعرضه للكوارث الحياتية والمواقف المحرجة التي يمر بها اثناء انجاز عمله وواجباته المطلوبة منه [10] • فالدين يساعد الانسان على تخطي واجتياز الكوارث الحياتية كموت احد اقربائه أو اصدقائه حيث يبين الدين بان الموت هو امر طبيعي لابد من وقوعه وانه حقيقة من حقائق الحياة ينبغي مواجهتها والموت ليس هو فناء الانسان وانما هو بداية حياة اخرى ينتقل اليها وهي الحياة الثانية ، ولولا الموت الذي يتعرض اليه البشر لضاقت الارض بالعباد وهذا ما يجعل الحياة امرا مستحيلا • ان جميع هذه التفسيرات والمبررات التي يطرحها الدين بشأن موضوع الموت تساعد الانسان على التحلي بصفة الصبر والهدوء والقوة السيكولوجية التي تمكنه من اجتياز هذه الازمة الحياتية والرجوع الى الحياة الاجتماعية والتفاعل معها تفاعلا طبيعيا يساعده على انجازه واجباته الملقاة على عاتقه من قبل المجتمع • والدين يمنح الانسان القوة والعزيمة والتصميم على القتال وقت دخوله المعارك وتعرض مجتمعه للهجوم العسكري والاحتلال • فالمؤمن بالدين هو المجاهد الجسور الذي لا يخاف الموت ولا يخضع لقوة الاعداء مهما كان حجمها أو نوعها وهذا ما يساعده على الفوز والانتصار العسكري على الاعداء الذي يحقق بالتالي طموحات واهداف الامة [11] • وفي الوقت الحاضر نحن معشر العرب باشد الحاجة الى التمسك بالدين

---

(10) H. Johnson, Sociology. A. Systematic Introduction P. 459.

(11) Ibid P. 462.

والايمان بمبادئه الخبرة الانسانية والتحلي بفضائله وشمائله لكي نستطيع التغلب على الصهيونية والامبريالية ونستر حقوقنا ونعيد بناء ماضينا المجيد • فالدين يقوي نفوسنا ويوحد صفوفنا وينشر العدل والمساواة والفضيلة بيننا وهذا ما نحتاج اليه نحن العرب لبناء صرح حضارتنا واعادة مجد امتنا القديم •

الاهداف العليا للدين : (The Major Objectives of Religion)

العالم غير المنظور هو العالم الميتفزيقي الذي يزود الافراد بالقيم والمقاييس والمبادىء الدينية التي يعتقدون بها • والاعتقاد بالعالم الميتفزيقي والانغمار بالاشياء المقدسة التي يوصي بها هذا العالم يقوى درجة تمسك الانسان المؤمن بالمبادىء والقيم الدينية التي هي مبادىء وقيم ميتفزيقية الى ان تصبح هذه المبادىء والقيم اشياء حقيقية وعلمية بالنسبة له بحيث لا يستطيع التخلي عنها أو التنكر لها مهما كانت الاسباب أو الظروف وهذا يفسر طريقة الايمان بالدين • لكن قوة الاقتراح الموجودة في عقل الانسان الباطني وحقيقة اتصال هذا العقل بالعقول الاخرى وقت اداء العشائر والطقوس الدينية تساعد على فهم ايمان المؤمن بالدين [12] اذا الايمان بالدين يأتي عن طريق الاعتقاد بالعالم غير المنظور وتوفر قوة الاقتراح في العقل الباطني واتصال العقول بعضها ببعض في محل العبادة كالجامع أو الكنيسة •

الا ان العقل هو جزء لا يتجزء عن البيئة الاجتماعية والحضارية التي يتفاعل معها فالطفل يتعلم مبادىء العالم الديني ومعنى الاشياء المقدسة في نفس الطريقة التي يتعلم بها معنى العالم الطبيعي والاجتماعي وما يقع

---

(12) R. Thouless, General and Social Psychology - See the Ch. on the Psychology of Religion.

فيه من حوادث وظواهر [١٣] • اذا يمكننا الاحساس بالعالم الديني والتفكير به وتجسيده حسب ما نشاء اذ انه اكثر مرونة واقوى تأثيرا من العالم الطبيعي والاجتماعي الذي نعيش فيه ، فالعالم الديني يقاوم الرغبة البشرية ولا ينصاع لارادتها ويتناقض مع العواطف والغرائز البايولوجية ويكافح الظلم والاستبداد والعبودية ويحاول ان يوصل الانسان الى السعادة والرفاهية والكمال والفضيلة • لهذا يتمسك المرء بقيمه وتعاليمه الدينية تمسكا شديدا ويستمر بالاعتقاد بها حتى بعد عجزها عن سد واشباع حاجاته العضوية • من خلال هذه الطريقة تصبح الاهداف والقيم الدينية التي تتمسك بها الجماعة اشياء حقيقية ومقدسة بالنسبة للفرد الذي يعتقد بها وهذا ما يسبب وحدة جماعته والتزامها المطلق بتعاليمها ومقدساتها الدينية •

لا يستطيع المؤمن الالتزام بمبادئه الدينية اذا انعزل عن المجتمع انعزالا مطلقا او اذا لم يجدد اتصاله مع الافراد الذين يحملون تعاليمه ومبادئه العليا • لهذا يصبح التفاعل الجماعي خير طريقة لتجديد المعتقدات والقيم السماوية التي يعتقد بها الافراد ، والتفاعل الاجتماعي الذى غرضه الدين يشمل على الايحاء والتنبيه الجمعي كالطقوس العامة والمنبهات الرمزية أو التقليدية وهذه كلها تدفع الافراد على الالتزام والتحلي بالقيم والاهداف العليا التي يعتقد بها المجتمع • ان للدين اربعة اهداف اساسية وهي **(١)** توضيح وتفسير **اهداف الجماعة مع تبيان اسسها ودعائمها (٢) تجديد** عواطفه المشتركة من خلال **طقوسه الجماعية (٣) تحديد وتثبيت القيم** المقدسة التي يتمسك بها الافراد **(٤) تحديد وسائل الضبط الاجتماعي**

---

(13) K. Mannhein, the Sociology of Knowledge - See the Introduction.

من خلال تأكيده على الثواب والمكافأة التي يحصلها الفرد بعد قيامه بالعمل الصالح والعقاب الذى يوجه اليه بعد قيامه بالعمل الطالح •

الديـــن والعلـــم : (Religion and Science)

هناك نظريتان متناقضتان تفسران العلاقة بين الدين والعلم ، النظرية الاولى تصرح بان هناك علاقة منطقية بين الدين والعلم فالدين مكمل للعلم والعلم مكمل للدين وليس هناك اى تناقض بين الدين والعلم • وهـذه النظرية اصح وارجح من النظرية التي تدعي بان هناك تناقض واضح بـين الدين يختلف اختلافا جوهريا عن موضوع دراسة وماهية العلم • دعنـــا نفسر اهم الافتراضات التي تستند عليهما هاتين النظريتين ودعنا أيضا نبرهن صحة النظرية الاولى وخطأ النظرية الثانية • ان النظرية الاولى تعتقـــد بان كل • من الدين والعلم مكمل واحدهما للاخر ، فالعلم يعتقد بوجود وعظمة الله الذي خلق الكائنات الحية والميتة التي يدرسها العلم دراسـة وصفية تحليلية ، ويعترف بالوظائف الكثيرة التي يقدمها الدين للمجتمع ويقر الاثار الايجابية التي يتركها الدين على شخصية الفرد وسلوكيتـــة واخلاقيته بحيث يجعل منه مواطنا صالحا يستطيع تنفيذ المهام الملقاة عـلى عاتقه من قبل المجتمع ومن هذه المهام الاعمال والواجبات والمهن العلمية التي يتخصص بها الافراد • فلولا سلوكهم واخلاقيتهم وشخصياتهـــم المؤثرة التي بناها وحدد معالمها الدين لما استطاع هؤلاء الافراد من التخصص في المجالات العلمية المختلفة خصوصا عندما يحث الدين عـــلى الالتزام بالاخلاق والسجايا الفاضلة ويشجع العلم والعلماء • والدين لا يتعارض مع العلم مطلقا بل على العكس يتماشي معه وينسجم مع تياره الى ابعـــد الحدود ، فهو يحث على طلب العلم والتوسع في البحث والعلم لان هذا سوف يفتح عقول الافراد الى ادراك معنى اللهوعظمته في خلـــق الكون

والاشياء الملموسة وغير الملموسة وبنفس الوقت يطور الحياة الاقتصاديه والاجتماعية والفنية للمجتمع ويجلب الرفاهية والسعادة والكرامة للانسان • ان العلماء الذين يتلون القرآن الكريم ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون الله ويخافونه اكثر من غيرهم من عباد الله • اذ انهم هم الذين يفهمون عن تعقل هذا النظام الكوني الدقيق المدهش ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية ، يعرفونه باثار صنعته ويدركونه باثار قدرته ، ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقية ابداعه ومن ثم يخشونه حقا ويتقونه صدقا ويعبدونه عن يقين لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب امام روعة الكون • فهذه العجائب التي يرويها كتاب الكون عن بعض مافيه من بدائع التكوين وجمال التنسيق ودقة التنظيم لايدركها الا العلماء المتبعون فهم لذلك يخشون الله اكثر من سائر العباد لانهم ادركوا سعة الحقيقة وهول الوجود • وهذا ينطبق مع الاية الكريمة « انما يخشى الله من عباده العلماء » •

ومما يبين الارتباط الوثيق بين الدين والعلم هو ان الدين يهتم بدراسة الاسباب الروحانية للوجود بينما يهتم العلم بدراسة الاسباب المباشرة لحدوث ووقوع الاشياء • فقد يعتقد العالم بالله سبحانه وتعالى وبنفس الوقت يعتقد بالحقائق العلمية التي تفسر التفاعلات الكيمائية بين الجزيئات والذرات اذا كان هذا العالم عالما كيميائيا ، فهو يرى الحقائق والاحكام البايوكيميائية وكأنها حكمة تشير الى عظمة وقوة الله سبحانه وتعالى • وسلوك هذا العالم المؤمن يتلائم مع طبيعة دوره ، فسلوكه العلمي في المختبر يتلائم مع حالته ومعتقداته الدينية وليس هناك اى تناقض بين هذين السلوكين مطلقا •

بالرغم من وجود العلماء الذين يعتقدون بالله وبالدين وبالمعجزات

السماوية فان هناك مع الاسف الشديد عدد آخر منهم لا يعتقد بالدين أو بوجود الله سبحانه وتعالى وهذا يرجع الى تمسكهم الشديد باساليبهم وطرقهم العلمية تمسكا متطرفا ومتحيزا فهم لا يعترفون بوجود الشيء الا اذا شاهدوه أو لمسوه واجروا التجارب عليه ، ونحن نعلم بان الدين واصوله هو نظام عقائدي صرف لا يمكن مشاهدته أو اجراء التجارب المختبرية عليه [١٤] • والسبب الاخير الذي يدفع بعض العلماء الى اثارة الشكوك حول الدين يرجع الى عدم وجود حدود مستقرة وثابتة بين الشيء المعلوم والشيء غير المعلوم • لكن الشيء غير المعلوم اليوم قد يكون معلوما غدا ، فلم يعرف العلماء في العصور الماضية اصل الانسان وكيفية تطوره لكنهم الان توصلوا الى حقائق كثيرة ترشدهم الى معرفة اصل نشوء وتطور الانسان • وقد ساهم الدين مساهمة فعالة في تفسير اصل وجود الانسان وتطوره واعتقد بهذا التفسير عدد كبير من العلماء خصوصا بعد قيام الدين بطرح معلومات الهية مهمة ومسهبة عن اصل الانسان وتطوره الفيزيولوجي عبر العصور والاجيال •

الدين في المدنية الحديثة : (Religion In Modern Civilization)

لا يستطيع العلم والتكنولوجيا الحديثة ان ياخذا محل الدين ويحلا محله ولا يستطيع الدين اخذ محل العلم والتكنولوجيا ، اذ ان لكل منهما وظائفة الاخصائية وواجباته المهمة التي يقدمها للمجتمع الحديث [١٥] • غير ان التغيرات الحضارية والمادية التي تشهدها المجتمعات الانسانية المعاصرة في الوقت الحاضر تلزم علماء الدين على تغيير تفسراتهم واجتهاداتهم الدينية بحيث تكون هذه منسجمة مع العصر ومع البيئة

---

(14) R. H. Lowie, Primitive Religion pp. 39-41.
(15) S. Radhakrishnon, Religion and Society.

الاجتماعية والحالة الفكرية التـــي وصلت اليهـــا المجتمعات • اذا تتغير الاجتهادات والتفسيرات الدينية بتغير المجتمع ، فالحضارات الانسانيـــة عندما تتبدل من حضارات بسيطة بدائية مستقلة الواحدة عن الاخرى الى حضارات معقدة ومتشعبة وراقية تتغير معها القيم والاجتهادات والتفسيرات الدينية بحيث تاخذ هذه قالبا جديدا ينسجم مع التبديل الحضارى والمادى الذي شهدته هذه الحضارات [16] • ان الحضارات الانسانية المتغيرة تشهد اولا اختفاء الرموز والتماثيل التي تمثل الالهة التي كان يعبدها الانسان ويقدم لها القرابين ، وتشهد ثانيا التخلي عن اعتقادها بان الالهة التي يعبدها الافراد موجودة في الاشجار والتلال والوديان والانهار والمدن التي كانوا يشيدونها • ثم تختفي ظاهرة الاعتقاد بوجود الالهة المتعددة التي تسيطر على الكون وما فيه من اشياء ، كما تتبدل الاراء التي تعتقد بان الاشباح والالهة هي اشياء لها اجسام طبيعية ومحسوسة فهي تعيش وتنام وتأكل وتشرب وتسكن في اماكن معينة لا يستطيع الانسان مشاهدتها • تتبدل جميع هذه الافكار الدينية عندما تتبدل الحضارات البشرية ، فالحضارات البشرية المتطورة تعتقد بان الالهة هي اشياء غير محسوسة لا يمكـــن مشاهدتها أو تشبيهها باي شيء عرفه أو يعرفه الانسان •

وفي المدنية الحديثة يضعف دور الدين مع الاسف بحيث بحيث يلعب دورا ثانويا في حياة الافراد اذ يتقلص الوقت الذى يقضيه اهل المدنية الحديثة في ممارسة الطقوس والشعائر الدينية وانشغالهم في العالم السماوي يكون مقصورا على حالات معينة لا تتجاوز مناسبات الاعياد والاحتفالات الدينية • وسبب هذا يرجع الى عوامل كثيرة اهمها انغمار افراد المدنية الحديثـة

---

(16) M. Weber, The Protestant Ethics and the Spirit of Capitalism.

بالعالم المادي الذ يتسم بالتعقد والتشعب والمنافسة والذي يلزم الافراد على العمل من اجل اشباع حاجاتهم المادية المتعددة ويقودهم الى الدخول في حياة الترف والملذات وهذا ما يبعدهم عن الحياة الروحانية والدينية ويضعف الدين في نفوسهم ويزعزع الاخلاق والسجايا الفاضلة التي يوصي بها الدين ، لذا يقوم بعضهم بالسلوك اللاخلاقي واللاجتماعي الذي يجلب الشر والبؤس للاخرين •

ومن الجدير بالملاحظة ان المدنية المعقدة هي مدنية تتميز بالتنوع والاختلاف البيئي والحضاري ، فهي تتسم بسرعة الانتقال الاجتماعي ووجود جماعات ومنظمات اجتماعية متباينة تتضارب فيها الطقوس والمعتقدات والمبادىء الدينية خصوصا في حالة البيئة الاجتماعية الواحدة التي تتوفر فيها اديان كثيرة ومتنوعة كما هي الحالة في الهند [17] • فالافراد الذين يعيشون في مثل هذه البيئة الحضارية يجب ان يبتعدوا عن التعصب والتحيز الديني لان هذا يسبب لهم مشاكل وويلات لا تحصى تعود عليهم بالشر الوبيل وبالتخلف والظلم ، وفي نفس الوقت ينبغي عليهم احترام الاديان واعطاء المجال لاصحابها بممارسة عبادتهم وطقوسهم الدينية بحرية كاملة• فالدين الاسلامي مثلا يحترم الاديان الاخرى ويعطي المجال لاعضائها بالعيش في امان وسلام خصوصا اذا كان هؤلاء مقيمين في منطقة مجاورة للمنطقة التي يسكن فيها اعضاء الاديان الاخرى • ان الروح المرنة والديمقراطية الموجودة في الدين تمكن المجتمع من القضاء على التعصب والتحيز الذي يسبب الفرقة والانقسام بين ابناء المجتمع الواحد •

لكنه عندما تتطور المدنية وتقطع اشواطا كبيرة في التقدم العلمي والتكنولوجي والمادي تتفتت الافكار الدينية وتنتشر هنا وهناك بحيث لا

---

(17) M. Weber, The Religion of India, P. 56.

يمكن ان تكون نظاما واحدا متكاملا له اديولوجية وهدف واحد [18] • وهذا حدث في معظم الدول الاوربية المسيحية بعد عصر النهضة الذي سبق عصر الثورات الصناعية التي وقعت من هذه الدول فبعد تفتيت وتبعثر الافكار الدينية وقت عصر النهضة وعصر الثورة الصناعية في اوربا قامت الدولة برعاية واداء قسما من الطقوس والممارسات الدينية بعد ان شرعتها واسندتها واعطتها المبررات الوضعية ، لكنه سرعان ما ظهر التنافس بين الدولة والكنيسة والذي انتهى بفصل الدولة عن الكنيسة فصلا كاملا كما حدث في انكلترا والمانيا خلال القرن السابع عشر الميلادي [19] وهناك حالات معينة يستفحل فيها الصراع بين الدولة والكنيسة خصوصا عند ما تقوم الدولة بالتستر بالدين لتحقيق اهدافها السياسية كما حدث ذلك في المذهب الكاثوليكي(Catholic Faith) عندما قام الفاتيكان بتنفيذ طموحاته السياسية من خلال ممارسته مراسيم السلطة الدينية • وفي بعض الحالات تستعين الدولة بالكنسة لكي تبقى في السلطة وتثبت قاعدتها الشعبية •

ان مثل هذه التبدلات والتحولات التي تطرأ على مركز الدين في المجتمع بعد تقدم الحضارة والمدنية يمكن ان تنعت بمفهوم سيطرة الحياة الدنيويه على الحياة الدينية ، وقد يتساءل المرء هل تستمر هذه الحالة دون توقف ؟ الجواب هو ان هناك حدود لسيطرة الحياة الدنيوية على الحياة الدينية • فالشعب الذي يهتم بالحقائق الجافة فقط وباحصاء سلوكه وحركاته وسكناته ويعتقد بالقيم المادية فقط ويهمل بنفس الوقت القيم والمثل الدينية ولا يعير اهمية للدين الذي هو اساس الفضيلة والخير والكمال

(18) T. F. Hoult, The Sociology of Religion (Chs. 10. 11. 12).
(19) R. Coulbourn. and R. Strayer (The State and Religion Conpact Study in Soc. and His. 1 (1958) pp. 35-57.

في المجتمع هو الشعب الذي تكثير مشاكله الاخلاقية ويعم فيه الفساد والتحلل وتنتشر فيه الرذيلة والخيانة وبالتالي يتعرض الى خطر التفكك والضعف الشامل الذي لا يساعده على تحقيق ابسط اهدافه وطموحاته • ان الاضطراب والفساد الاجتماعي الناجم عن سيطرة الحياة المادية سيطرة شاملة على المجتمع وعدم اهتمامه بالحياة الروحانية والاخلاقية قد يدفع رجال الدين والمصلحين الاجتماعيين الى القيام بثورة دينية اجتماعية اخلاقية تستهدف انقاذ الناس من الفوضى والغوغائية المادية التي تكاد تسيطر عليهم وتعمي ابصارهم هذه الثورة التي تنقذ قيمهم ومقاييسهم الاصلية من الاضمحلال والتفكك وتساعد على تجديد قوتها الدينمكية لكي تستطيع المشاركة الفعالة في بناء المجتمع ودفع عجلته الى الامام [٢٠] • فوقوع العرب قبل الاسلام في حياة الترف والملذات والرذيلة واهتمامهم بالحياة المادية القاسية وعدم مبالاتهم بالحياة الروحانية والدينية التي يمكن ان تنقذ مجتمعهم من الفساد والظلم والارتباط والفوضى هي التي قادت الى بزوغ نور الدين الاسلامي بينهم لينقذهم من الظلمات الى النور وليهديهم الى الصراط المستقيم • وبعد فترة من الزمن وبفضل الجهود الجبارة التي بذلها الدين الاسلامي في رفع مكانة العرب الاخلاقية والروحانية والحضارية والاجتماعية استطاع المسلمون العرب تكوين اكبر واقوى واعظم امبراطورية عرفها التاريخ الا وهي الامبراطورية العربية الاسلامي التي حكمت اجزاء مترامية من المعمورة لفترة طويلة من الزمن وهبت الشيء الكثير في تطوير الحضارة البشرية في جميع الميادين المتعلقة بها•

---

(20) R. N. Bellah, Tokugawa Religion,

المصادر التي استعملها البحث

(المصادر العربيـــة)

(١) القرآن الكريم ٠
(٢) كيف السبيل الى الله (الايمان بالله) تأليف خيرالله طلفاح ٠
(٣) علم اجتماع الدين تأليف احمد الخشاب ٠

(المصـــادر الانكليزيـــة)

(1) Society By K. Davis.

(2) Current Sociology V. (1) 1956.

(3) Structure and Functions in Primitive Societies By A. Radcliffe - Brown.

(4) Religion, Society and the Individual By J. M. Yinger.

(5) Elementary Forms of Religion Life By E. Durkheim.

(6) Sociology, A Systematic Introduction By H. Johnson.

(7) General and Socsal Psychology BY R. Thouless.

(8) The Sociology of Knowledge By K. Mannheim.

(9) Primative Religion By R. H. Lowie.

(10) Religion and Society By S. Radhakrishnan.

(11) The Protestant Ethics and the Spirit of Capitalism By Max Weber.

(12) The Religion of India By Max Weber.

(13) The Sociology of Religion By T. F. Hoult.

(14) The State and Religion By R. Coulbourn and R. Strayer.

(15) Tokugawa Religion By R. N. Bellah.